Adab Al-Rafidain

https://radab.uomosul.edu.iq

The eloquence of the analogy in (Maqamat al-Zahir Abi al-Hasan)

Maan Wadallh Qasim
M.A. Student/ Department of Arabic Language / College of Arts / University of Mosul

Ammar Ismail Ahmed
Prof./Department of Arabic Language / College of Arts / University of Mosul

Article Information

Article History:
Received June 30, 2024
Reviewer July 11 .2024
Accepted July 21, 2024
Available Online March 1 , 2025

Keywords:
The eloquence
The analogy
Maqamah

Correspondence:
Ammar Ismail Ahmed
ammar.i.a@uomosul.edu.iq

Abstract

The analogy is one of the most prominent methods of statement science in Arabic rhetoric and its cornerstone, as it plays a prominent role in enriching the perception and imagination of both poetic and prose language, as well as considering it an aesthetic element popular in the language of Zad - in particular- in the Arabic Maqamah for the diversity of its methods between poetry and dictionary prose, so the research sought to study this art in (Maqamat al-Zahir Abi al-Hassan), as it contained a variety of methods of analogy, as well as the rest of the arts of the statement.

The research was based on giving an explanation of the concept of the analogy in the language and in the rhetorical terminology of the early linguists until the stability of the latter, then identifying the basic elements of the analogy: (the two parties: the suspect and the suspect), then the similarity, purpose, conditions and tool, passing through the counting of its ranks and clarifyingit in terms of the absence of one of its parties or its presence in the analogous sentence.

The research took samples of the types of analogy mentioned (in the Maqamat al-Zahir Abi al-Hassan) - in a numerical table attached to the research, but we did not accompany it for fear of prolongation - it was dealt with in the descriptive rhetorical analysis revealing the characteristics of the species used - in the study model - and their aesthetics, starting with the most rhetorical and then the least.

DOI: 10.33899/radab.2024.151360.2192©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

بلاغة التشبيه في (مقامات الظاهر أبي الحسن)
دراسة بيانية

معن وعدالله قاسم* **عمار اسماعيل أحمد****

المستخلص

يعدّ التشبيه أحد أبرز أساليب علم البيان في البلاغة العربية وركنه الأساسي، إذ يؤدي دوراً بارزاً في إثراء التصور والخيال للغة الشعرية والنثرية على حدٍ سواء، فضلاً عن عدّه عنصراً جمالياً رائج الاستعمال في لغة الضاد- ولاسيما- في المقامة العربية لتنوع أساليبها بين شعرٍ ونثرٍ مسجّع، لذا سعى البحث لدراسة هذا الفن في (مقامات الظاهر أبي الحسن) ؛ لما حوت من تنوع في أساليب التشبيه، فضلاً عن بقية فنون البيان .

* طالب ماجستير / قسم اللغة العربية / كلية الاداب / جامعة الموصل
** استاذ / قسم اللغة العربية / كلية الاداب / جامعة الموصل

وقام البحث على إعطاء توضيحٍ لمفهوم التشبيه في اللغة وفي الاصطلاح البلاغي عند أوائل اللغويين حتى استقراره عند المتأخرين، ثم الوقوف على أركان التشبيه الأساسية: (الطرفين: المشبه والمشبه به) ثم وجه الشبه والغرض والأحوال والأداة، مروراً بتعداد مراتبه وتوضيحها من حيث غياب أحد أطرافه أو حضوره في الجملة التشبيهية.

وعمد البحث إلى أخذ نماذج من أنواع التشبيه الواردة (في مقامات الظاهر أبي الحسن) متناولها بالتحليل الوصفي البلاغي كاشفاً عن سمات الأنواع المستعملة -في نموذج الدراسة- وجمالياتها ابتداءً بالأكثر بلاغةً ثم الأقل.

الكلمات المفتاحية: البلاغة، التشبيه، المقامة.

التشبيهُ لُغةً:

" الشَّبهُ : ضَربٌ من النُّحاس يُلقى عليه دواءٌ فيصفَرَّ وسُمي شبهاً لأنه شُبّهَ بالذهب ، وفي فلان شَبهٌ من فلان ، وهو شَبَهُهُ وشِبهُهُ ، أي شبيهُهُ . ونقول : شبَّهتُ هذا بهذا . وأشْبَهَ فُلانٌ فُلاناً "[1] . كما جاءَ عند ابن فارس " الشين والباء والهاء أصلٌ واحدٌ يدل على تشابه الشيء وتشاكُله لوناً و وصفاً . يُقالُ شِبْه و شَبَه و شبيه... واشتبه الأمران إذا أشكلا "[2] .قال (ﷻ) :**﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾ [آل عمران: 7] ,**

وذكر ابن منظور :" شبه: الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ: المِثْلُ، وَالْجَمْعُ أَشْباهٌ. وأَشْبَه الشيءُ الشيءَ : مَاثَلَهُ . وأَشْبَهْتُ فُلَانًا وشابَهْتُه واشْتَبَه عَلَيَّ وتَشابَه الشيئانِ واشْتَبَهَا: أَشْبَهَ كلُّ واحدٍ مِنْهُمَا صاحِبَه. وَفِي التَّنْزِيلِ: مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشابِهٍ . وتَشَبَّهَ فلانٌ بِكَذَا. والتَّشْبِيهُ: التَّمْثِيلُ."[3] . مما سبق يتضح أنَّ التشبيه مصدرٌ مشتق من الفعل (شَبَّه) بالباء المضعفة والتي تعني التمثيل ، وإذا توجهنا إلى التعريف الاصطلاحي للتشبيه نجده لا يبعد عن اللغوي ولا يفارقه .

التشبيه اصطلاحاً:

تكلّم أوائل اللغويين على التشبيه في مؤلفاتهم ولعل مِن المتقدمين مَن أفرد له باباً كاملاً في مؤلَّفه مثل المبرد (ت285هـ) الذي قال :" واعلم أن للتشبيه حداً؛ لأن الأشياء تشابه من وجوه، وتباين من وجوه؛ فإنما ينظر إلى التشبيه من أين وقع، فإذا شبه الوجه بالشمس والقمر فإنما يراد به الضياء والرونق، ولا يراد به العِظم والإحراق"[4]. ثم قسمه على أربعة أضرب ؛ مفرط ومصيب ومقارب وبعيد , وعدَه من أكثر كلام العرب بقوله : " والتشبيه جارٍ كثيراً في كلام العرب، حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم، لم يبعد"[5]. وساق له الأمثلة الكثيرة من الشعر والنثر تدليلاً على كلامه . وجاء من بعده أهل البلاغة فخصّوا التشبيه بالدراسة والتعريف ,فعرّفه أبو هلال العسكري (ت395هـ) بقوله : " التشبيه: الوصف بأنّ أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، ناب منابه أو لم ينب، وقد جاء في الشعر وسائر الكلام بغير أداة التشبيه. وذلك قولك: زيد شديد كالأسد؛ فهذا القول الصواب في العرف وداخل في محمود المبالغة ... ويصحّ تشبيه الشيء بالشيء جملة، وإن شابهه من وجه واحد؛ مثل قولك: وجهك مثل الشمس، ومثل البدر... ولو أشبه الشيءُ الشيءَ من جميع جهاته لكان هو هو "[6] .

و وافقه الرأي ابن رشيق القيرواني (ت456هـ)[7] . وجاء من بعدهم أشهر البلاغيين وشيخهم عبد القاهر الجرجاني (ت474هـ) فحدَّ التشبيه بالقول : " التشبيه أن تثبت لهذا معنًى من معاني ذاك، أو حُكماً من أحكامه، كإثباتك للرجل شجاعة الأسد، وللحُجة حكم النُّور، في أنك تفصل بها بين الحق والباطل، كما يُفصل بالنور بين الأشياء"[8].

حتى جاء مُقَعّدُ علم البيان ومُرسي أركانه على ما يُعرف به الآن أبو يعقوب السّكاكي (ت626هـ) فعرفه بالقول: "إن تشبيه الشيء لا يكون إلا وصفاً له بمشاركته المشبه به في أمر والشيء لا يتصف بنفسه "[9].

والواضح من هذه التعريفات – وغيرها من التعريفات الكثيرة التي لم تذكر – أن معانيها تدور حول اشتراك طرفي التشبيه (المشبه والمشبه به) في وصفٍ يجمع بينهما من جهةٍ واحدةٍ أو جهات عدة - وليس الكل – وإلاّ انتفى التشبيه والغاية منه .

وفصّل الطيبي (ت743هـ) لهذه المعاني بقوله في التشبيه :"هو وصف الشيء بمشاركته الآخر في معنى, وهو يستدعي خمسة أشياء؛ الطرفين ليحصل , والوجه ليجمع , والغرض ليصح , والأحوال ليحسن , والأداة لتوصل "[10]. ففصّل بذلك أجزاء و أركان التشبيه كما يأتي :

---

(1) العين ,الخليل بن أحمد الفراهيدي , ت عبد الحميد هنداوي , دار الكتب العلمية , بيروت , ط1 , 1424ه-2003م : 304/2 .
(2) مقاييس اللغة ابن فارس , تحقيق عبد السلام محمد هارون , دار الفكر, (د.ط) ,1399ه-1979م : 243/3 .
(3) لسان العرب , ابن منظور, دار صادر بيروت, (د. ط) (د. ت) :13/ 503 .
(4) الكامل في اللغة والأدب ,أبو العباس المبرد ,ت محمد أبو الفضل إبراهيم ,دار الفكر العربي, ط3 , 1417ه-1997م : 3/ 41 .
(5) المصدر نفسه : 70/3 .
(6) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر,أبو هلال العسكري ,ت-علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ,دار إحياء الكتب العربية , ط1 , 1371ه-1952م : 239 .
(7) العمدة في محاسن الشعر, ابن رشيق القيرواني ,ت-محمد محي الدين عبد الحميد , دار الجيل بيروت ,ط5 , 1981م :286/1 .
(8) أسرار البلاغة, عبد القاهر الجرجاني, ت- محمود محمد شاكر , مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة (د. ط) (د. ت) : 87 .
(9) مفتاح العلوم ,أبو يعقوب السكاكي , ت- نعيم زرزور, دار الكتب العلمية, بيروت, ط2 , 1407ه-1987م :439 .
(10) التبيان في البيان, شرف الدين الطيبي ,ت الدكتور يحيى مراد ,دار الكتب العلمية , بيروت, ط1 , 1435ه-2004م : 78 .

(الطرفان): المشبه والمشبه به ؛ وهما الركنان الأساسيان في التشبيه, إما أن يكونا حسيين وذلك في المبصرات والمشمومات والمذوقات والملموسات والمسموعات قد يركب بعضها في بعض , وإما أن يكونا عقليين أو حسي وخيالي أو وهمي وحسي أو عكسه أو عقلي وحسي أو عكسه .[11] وقد يتعدد أحدهما أو كلاهما في بناء الجملة التشبيهية أو يغيب أحدهما عنها .

(الوجه): وجه الشبه "هو أمر يشترك فيه الطرفان وهو إما واحدٌ حقيقةً أو حكماً أو متعدد"**[12]**. وهو الوصف أو المعنى المشترك بين الطرفين والذي يجمع بينهما على مستوى الإدراك الذهني والعقلي . وهذا الأمر إما أن يكون حسياً أو عقلياً أو يكون في حكم الواحد المفرد أو المنتزع من عدة أمور متفرقة أو مركبة في صورة تمثيلية .

(الغرض): هو الفائدة المرجوة أو الغاية المنشودة من عقد التشبيه بين طرفيه ليصح المقصدُ منه , وهو في معظمه لأجل المشبه , فيكون " لبيان حاله... أو أن يكون لبيان مقدار حاله... وإما أن يكون لبيان إمكان وجوده... وإما أن يكون لتقوية شأنه في نفس السامع... وإما أن يكون لإبرازه إلى السامع في معرض التزيين أو التشويه أو الاستطراف وما شابه ذلك "[13] .
وأما كون الغرض عائداً إلى المشبه به " فمرجعه إلى إيهام كونه أتم من المشبه في وجه الشبه "[14]. فالعملية قائمة على إلحاق المشبه بالمشبه به , كون المشبه به أوضح وأشهر وأتم معرفةً في أذهان الناس – متكلمين ومستمعين -, ولا يعمد إلى التشبيه إلاّ للمبالغة أو المدح والذم أو الإيضاح والتبيين أو الإيجاز في الكلام .

(الأحوال): وهي كيفيات حصول حسن التشبيه وقبحه أو قبوله و ردّه وهي متعددة بين التفصيل والاجمال , والمعقول والموهوم , والنادر والمستطرف , والبعيد والقريب , والسليم من الابتذال وعكسه[15] .
(الأداة): وهي لتوصل بين طرفي التشبيه وتعقد المشاركة بينهما, وهي على أنواع ؛ الحروف كمثل : الكاف وكأنَّ , والأسماء كمثل : مَثَلْ و شَبَهْ , والأفعال كمثل : شابَهَ وضارعَ وضاهى وغيرها , فضلاً عن المصدر بتقدير الأداة[16]. كما في قوله (ﷻ) :
﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾ [النمل: 88] .
وتتحصل لدينا ثماني مراتب للتشبيه باعتبار حضور أركانه وغيبتها -سابقة الذكر- في القوة والضعف في شدّة المبالغة : وهي:[17]

1) ذكر أركانه الأربعة (المشبّه والمشبّه به وأداة التشبيه والوجه) .
2) ترك المشبه وهي كالأولى في عدم القوة .
3) ترك أداة التشبيه , وفيها نوع من قوة .
4) ترك المشبه وأداة التشبيه , وهي كالثالثة في القوة .
5) ترك وجه الشبه , وهي قوية لعموم وجه الشبه وإجماله .
6) ترك المشبه و وجه الشبه .
7) ترك أداة التشبيه و وجه الشبه , ويسمى (البليغ) .
8) إفراد المشبه به في الذكر , وهي كالسابعة في قوتها .

يتضح أن أركان التشبيه متساويةٌ في الأهمية وفي حصول التحولات في بنية الجملة التشبيهية بغياب أركانها وحضورها , وهذه التحولات "ذات مستويات بلاغية , ومن ثَمَّ كان حذف الأداة والوجه أعلى درجات البلاغية, ثُم يليه حذف أحدهما , ثُم تأتي مجموعة

---

[11] المصدر السابق: 79-80 , وينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى, , الدكتور محمد عبد المطلب, الشركة المصرية العالمية للنشر,ط2 (د.ت) :142-143.
[12] المصدر السابق:81 .
[13] ينظر: مفتاح العلوم :448 , والإيضاح في علوم البلاغة, الخطيب القزويني, وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين ,دار الكتب العلمية ,بيروت, ط2 ,2010م : 166-167 , والمثل السائر, ضياء الدين بن الأثير, ,ت-أحمد الحوفي وبدوي طبانة , دار النهضة مصر, ط1 , 1960م :124 ، والتبيان في البيان : 86-87 .
[14] ينظر : مفتاح العلوم : 450 ، و التبيان في البيان : 88 .
[15] ينظر : التبيان في البيان :89-92 .
[16] ينظر: المصدر نفسه : 94، و فن التشبيه ,علي الجندي, مكتبة ومطبعة نهضة مصر, 1952م ,ط1 :1/ 175 , والبلاغة العربية قراءة أخرى :136 , ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها ,الدكتور أحمد مطلوب, الدار العربية للموسوعات ,بيروت ,ط1 , 1427ه_2006م : 2/174-175.
[17] ينظر: أسرار البلاغة:101, والعمدة: 287/2,و مفتاح العلوم :464 , والمثل السائر :396/1 , والإيضاح :215, والتبيان في البيان :95-96, ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها : 176/2 .

التحولات على درجةٍ واحدة , أي إن البلاغية تعتمد الاختزال أساساً لها بشرط أن يحافظ البناء على تشكيله الأصلي , ثُم تنخفض درجة البلاغية مع تهميش البنية والدخول بها إلى مستويات الغموض أو الإبهام"[18] .

التشبيه في مقامات الظاهر

أولاً / التشبيه المفرد :

(1) التشبيه البليغ :

ولعلّنا نشرع في الحديث من المرتبة السابعة وهي (التشبيه البليغ) الذي " يحذف فيه وجه الشبه وأداة التشبيه "[19] لكونه يُعدّ أبلغ أنواع التشبيه - بإجماع علماء البلاغة - وأزخرها وروداً في مقامات الظاهر أبي الحسن ومنها قوله في (مقامة البِر والعقوق) :

" ولم يلتفت بل قال مُرتجِزاً :

أنا لها مطيةٌ لا أنفرُ

إذا الرِكابُ ذعّرت لا أَذعرُ

ما حملت وأرضعتني أكبرُ "[20]

إذ شبّه الأعرابي نفسه بالمطية والدّابة التي تُركب-من دون أداة تشبيه- وليس ذلك إلا للمبالغة في خفض جناحه لأمه وزيادةً في الاحسان إليها جزاءً وإكراماً واعترافاً بحقها وتحقيق الذُّل بين يديها وتحت قدميها تنفيذاً وتطبيقاً لأمر الخالق (ﷻ) في محكم التنزيل : **﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء: 24]** .

فجاء التشبيه بليغاً من غير أداة زيادةً في تحقيق التساوي والاقتران بين الأعرابي الراجز (المشبه) وبين المطية (المشبه به) وكأنهما على قدرِ مقامٍ واحدٍ في كفتي ميزان يفرّق بينهما بعمود الجار والمجرور (لها) فكان ركنا التشبيه من المبتدأ والخبر المفروقان بالجار والمجرور (للتخصيص والاهتمام والعناية), ولسان حاله يقول : أنا لها فقط وليس لغيرها كالمطية المطيعة الهادئة المنقادة لأوامر ممتطيها , فأوجزها واختزلها بكُليماتٍ قصيرات , ذلك " أنّ التشبيه المضمر أبلغ من التشبيه المظهر وأوجز؛ أما كونه أبلغ فلجعل المشبه مشبهاً به من غير واسطة أداة , فيكون هو إياه ... وأما كونه أوجز فلحذف أداة التشبيه منه "[21] .

ومن الأمثلة على البليغ قوله في (مقامة سروان المَوسوَس عبدالله بن سليمان المديني) :

"عليكَ أنْ تحرِصَ على لُغَتِكَ حِرْصَكَ على عِرضِكَ ومالِكَ و ولدِكَ وبيتِكَ وبلدِكَ .."[22] .

فجاء الكاتب بالتشبيه بليغاً والمشبه به مصدراً بتقدير الأداة المضاف (حرصك) لتحقيق المبالغة في التشبيه بين طرفيه (المشبه والمشبه به) وإلصاقهما ببعضهما بلا فاصل الأداة , وإعطاء صورة المشاركة والتماثل بينهما , وجعل الحرص على اللغة العربية مقروناً بالحرص على حُرُمات المسلم وعظائم اموره التي تستوجب بذل الغالي والنفيس في الذود عنها وحفظها من المساس كالعرض والأرض والأهل والمال التي نصَّ عليها الحديث الصحيح :" مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ "[23] .

وإنزال الحرص على اللغة منزلة الحرص على حُرمات المرء المسلم بلا زيادة أو نقصان , وهذا التشبيه عند ابن الأثير "من أحسن ما استعمِل في باب التشبيه"[24] . وعند مجيئه مصدرياً مطلقاً من الفعل فيختزل المعاني ويوجز الألفاظ بشكلٍ مقتضبٍ مستحسن , بلا أداة تشبيه ولا وجه شبه مطلِقاً الخيالَ والذهن لتشكيله بما يناسب كلا الطرفين ويلائم سياقهما .

ومن أمثلة البليغ أيضاً قوله في (مقامة المال والنسوان): **" فقال له : لقد طرقَ بابَكُم في عمقِ الليلِ طارقٌ , وراحَ يصيحُ بصوتٍ عالٍ أشدّ كراهةً من نهيقِ الناهقِ "**[25] .وهي تتحدث عن معاناة أهل الموصل وما حلَّ بها إبّانَ سطوة عصابةٍ مارقةٍ عليها , فتسلطوا وأذاقوا أهلها ألواناً من العذاب والتنكيل تحت مسمّياتٍ دينية لإزاحة مَن يخالفهم الرأي والمنهج .

فعمد الكاتب إلى وصفهم وسلوكياتهم وطبائعهم عند سلب أموال الخلق ومقدَّراتهم بالضجيج والصياح المتعالي مُشبّهاً أصواتهم بـ (صوت الناهق) صيغة الفاعل من المصدر (نهيق) وهو صوت الحمار , فجاء بصيغة التفضيل (أفعل) في كلمة (أشد) المضافة إلى الكراهة في معرض التشويه والتقبيح من أصوات هؤلاء النفر إلى أنكر أصوات خلائق الله (ﷻ) لقوله :

---

(18) البلاغة العربية قراءة أخرى : 152 .

(19) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها :180/2 .

(20) مقامات الظاهر أبي الحسن- دراسة ونصوص ,الدكتور عبدالله فتحي الظاهر ,دار وأشرقت للطباعة والنشر –الموصل, ط1 ,2012م, :101 , وردت الحادثة في كتاب المحاسن والمساوئ , إبراهيم بن محمد البيهقي (ت نحو ٣٢٠هـ), المكتبة الشاملة :235 .

(21) المثل السائر : 122/2 .

(22) مقامات الظاهر أبي الحسن : 128 .

(23) سنن الترمذي, تحقيق أحمد محمد شاكر , شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر , ط2 , ١٣٩٥ هـ-1975م , رقم الحديث 1421 : 30/4 .

(24) المثل السائر : 125/2 .

(25) مقامات الظاهر أبي الحسن : 178 .

﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان: 19] , فجاء التشبيه بليغاً بلا أداةٍ ولا وجه شبه ولكنه _حسب رأي ابن الأثير_ على تقدير لفظة (أفعل) :

" فإنْ لم تُقدَّر فيه لفظة (أفعل) فليس بتشبيهٍ بليغ "[26]. أي على تقدير (كصوتٍ أشد كراهةً في العلوّ والقبح من نهيق الناهق) في التشبيه المفصَّل الأركان , فكان التشبيه للمبالغة في الذم والتشنيع والتسفيه على المتعاطي (الممارس) لطبائع البهائم الحسية كالصوت السمج المتعالي فضلاً عن سماجة الطباع الخُلُقية الأخرى كالبلادة والجهل وقبح المنطق إلى جانب علو الصوت , وقديماً قالت العرب :" أجهل من حمار"[27]. مثلاً للجاهل من الناس ولمن غلب عليه الجهلُ والبلادةُ وقبحُ الصوت .

(2) التشبيه المؤكَّد:

أورد الكاتب عبارة **"وكانتِ الموصلُ بينَ المدنِ كبشَ الفداءِ"**[28] , في (المقامة الموصلية) عند حديثه عن المدينة وما حلَّ فيها من دمار وخراب وقتل وتهجير وسرقات وما أضر بأهلها من أنواع البلاء وقد وظّفَ تعبير (كبش الفداء) الذي يستعمل في كلام العامة والخاصة وما فيه من تصويرٍ بياني , إذ أطلق الموصل وأراد أهلها حملاً على المجاز العقلي بعلاقة المحلية ؛ لأنَّ ما حدث من ويلاتٍ لامست أهلها وأثّرت فيهم , ثم أن التعبير كله تشبيهٌ مؤكدٌ مجملٌ ذُكر فيه المشبه (الموصل) والمشبه به (كبش فداء) حذفت الأداة ووجه الشبه بينهما أنهما ضحية ولا ذنب لهم فيما خُطط لهم , و (كبش الفداء) مصطلحٌ قديم أساسه ديني وهو تقديم كبش فداء لتخليص المجتمع من الذنوب , إذ كان اليهود قديماً يذبحون (الديك) على رأس المذنب ليتخلص من ذنوبه , وأيضاً سيدنا إسماعيل أُفتديَ بكبشٍ عظيم , أما علمياً ظاهرة كبش الفداء درسها لأول مرة عالم النفس الأمريكي (جون دولارد) عام ١٩٦١حسب النظرية يتم انتقاء طرف معين لمعاملته معاملة سلبية غير مستحقة وتبدأ الجماعة الضالة في إسقاط وتفريغ المشاعر والأفكار غير المرغوب فيها على الضحية (كبش فداء)، فالضعيف يبدأ بإسقاط ضعفه على الضحية والحقود والحسود يفرغ مشاعره العدائية على الضحية، والناقص يسقط معاناته على الضحية
والنرجسي والمغرور يمارس طقوسه على الضحية، ويصبح الضحية يظهر للناس على أنه مثير للمشاكل ومتعب وغير متعاون وأناني ويتم الحكم عليه بالتخلص منه![29]
وغالباً المختار(الضحية ... كبش الفداء) يكون شخصاً طيباً ومسالماً ونقياً ومجتهداً ولا يشارك الآخرين مؤامراتهم فيصبح خطراً عليهم؛ لأنه كلما نظروا إليه أحسوا بضعف دفينٍ تجاهه، يقول رينيه جيرارد (عالم الأنثروبولوجيا الفلسفية) :"عندما يصبح المجتمع معرضا للخطر بسبب صراع الرغبات تظهر آلية كبش الفداء فيشار إلى شخصٍ واحدٍ بأصابع الاتهام؛ لكونه السبب في المشكلة، وتقصيه الجماعة أو تقتله ويكون هذا الشخص هو كبش الفداء"[30]. وهذا ينطبق على مدينة الموصل, هل تساءل أحدٌ لماذا "كبش" فداء وليس "ثعلب" أو "ذئب" أو "قطة" فداء؟ الكبش لا يمتلك إمكانيات ذهنية وعقلية عالية، ويقال : إن تدريب الكبش على أي أمر هو من المستحيلات، وأن حياته تنتهي بانتهاء فعالية وحدث الفداء به , وبعد فهمنا للنواحي العقلية والذهنية للكبش، لتحلل المعطيات وأطراف العلاقة، فكبش الفداء هو طرف ضمن علاقة تجمع ثلاثة أطراف، الكبش بنفسه، و"صاحب الكبش" وهو المستفيد المباشر أو غير المباشر مما يحدث، وصاحب سلطة أو قرار يمكنه تحقيق الفائدة التي يرغب بها صاحب الكبش. الطرفان الأخيران قد يدركان ما يحدث وتتم حياكة الأحداث بدقة من قبلهما وصولاً للفداء بالكبش الذي لا يدرك موقعه في هذه العلاقة و"يتفاجأ" بما يحدث.
وتمضي أطراف العلاقة الأخرى في طريقها بينما ينعدم أي وجود للكبش بعد الفداء به ويذوي بعيداً , قد تؤثر سيكولوجية كبش الفداء في الجماعات, وتحدث عندما تواجه الجماعات والأمم نتائج سيئة نتيجة قيام أفراد أو حكومات باتخاذ إجراءات أو التسويق لسياسات , مع تصويرها أنها صحيحة وصائبة ؛ لتثبت الأحداث لاحقاً خطأها أو كارثيتها , مع تحمل الجماعات والأمم العواقب اللاحقة , فقد أحسَّ كل رجل وامرأة في تلكم الدول أنه أو أنها كانوا "كبش فداء" ولم يكن لهم أي ذنب فيما حدث .

(3) التشبيه المرسل المجمل :

ومن أمثلته ما جاء في (مقامة أُمنيات أبي البقاء الراجي ساعة احتضاره) وهو يصف مشهد الدهشة في حضور جماعةٍ من الناس حادثةَ تكلُّمِ رجلٍ بعد احتضاره ولفظِ أنفاسه الأخيرة بالتشهُّد , إذ يقول : **" ولقد واللهِ نظرتُ في وجوهِ النَّاسِ تلكَ الساعةَ ,**

---

[26] المثل السائر : 129/2 .
[27] جمهرة الأمثال , أبو هلال العسكري ,ت- أحمد عبد السلام ومحمد سعيد بسيوني زغلول , دار الكتب العلمية ,بيوت, ط1 , 1408ه-1988م: 270 , و مجمع الأمثال , الميداني , تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد , مطبعة السنة المحمدية , 1374ه-1955م , 189: .
[28] مقامات الظاهر أبي الحسن : 21 .
[29] ينظر : كبش الفداء , رينيه جيرارد, ترجمة منار رشيدي أنور , دار الشرقيات ,بيروت , (د.ت) : 65 .

[30] كبش الفداء : 89 .

فوجدتُهم مشدوهينَ كمَنْ ينتظرُ قيامَ الساعةِ ,... "[31], فشبّه حال دهشتهم وتحيرهم والوجوم الذي خيّم عليهم تلك الساعة إبّان الحادثة _مستعملاً حرف الكاف_ بحال المرتقِب الوجِل من أهوال يوم الحساب وشدة وقعها على النفوس, وأثر الخشوع والرهبة في روعهم وكأنها صورة من صور يوم القيامة والبعث والنشور , وهي غيبيات لا يعلم حقيقتها إلا الله (ﷻ) .

فجاءت كلمتا (قيام الساعة) إشارةً إلى يوم الحساب وأهواله التي توعَّدَ الله (ﷻ) بها عباده المقصرين والعاصين والضالين والكافرين في سور عديدة من القرآن الكريم وردت فيها لفظة الساعة وقُرنت بكثير من أهوال ذلك اليوم كالبغتة والحسرة والعذاب والإشفاق وزلزلة الساعة (الشيء العظيم) , والبعث من القبور وإبلاس المجرمين والجزع والتفريق بين الأهل والعشيرة ,وأشد وغليظ العذاب, فضلاً عن التحذير من الأهوال والعلامات الممهدة لذلك اليوم , لقوله (ﷻ) :

﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: 46] .

إذ أبقى وجه الشبه دون ذكر متروكاً للمتلقي يشكّله في مخيلته وبذكائه كيف يشاء من الصور الآنفة التي يتصورها من (قيام الساعة) فكان التشبيه مجملاً واسع المجال للقارئ يجمع وجه الشبه بين طرفيه ؛ المشبه (مشدوهين), والمشبه به (مَن ينتظر قيام الساعة)من الصور المقرونة بقيام الساعة وبما تسعفه به مخيلته من صور يوم الحساب في القرآن الكريم أو حتى في السنة النبوية المطهرة .

ومن أمثلة هذا التشبيه أيضاً ما استعمله الكاتب في (مقامة مملكة الغابة) التي تتحدث عن سبع الغابة (الطيب) الذي فسدت جُلُّ رعيته من الحيوانات وخاصته من المقربين الذين راحوا يتآمرون عليه كالضباع والكلاب الجرباء, غير أن الحمار خلّصه من كيدهم, فيقول: **"ورأفَ الحمارُ بالملكِ لِما هو فيهِ منِ ابتلاءٍ فلمْ ينظرْ إليهِ نظرَ ازدراءٍ لأنَّهُ عَلِمَ أنَّ المَلِكَ قد فَسَدَتْ بطانَتُهُ فهو لذلِكَ كمَنْ غُصَّ بالماءِ,..."**[32].

فجاء التشبيه مرسلاً بالحرف (كاف) مشبّهاً حال الأسد _الذي غدر به أهل خاصته وبطانته المقربين الذين يُفتَرض بهم الإخلاص والصدق والوفاء والتفاني في خدمة الملك وحمايته من الغدر والخيانة والتآمر فكانوا أول مَن سعى للإطاحة بملكه وقتله والتآمر عليه_ بحال الذي يغصُّ بالماء ويشرَق ويختنق بأسهل وأسوغ رزقٍ يطعمُهُ الخلائق (الماء) الذي يُرجى بشربه الارتواء وبلع الطعام وإنزال ما يُغَصُّ به من أكل , الماء الذي لا يحتاج إلى طبخ وإعداد أو مضغٍ وهضم ,بل هو المساعد والمسوّغ .

وجاء الفعل (غُصَّ) مبنياً للمجهول للإيحاء أنّ سبب الاختناق ليس مبعثه المغصوص (الملك) , وإنما مصدره بطانة السوء من مقربيه وحاشيته (أهل التآمر والمكر والغدر) , فتحول الماء الذي هو رمز الحياة إلى أول مسببٍ لزوالها وإنهائها , فكان التشبيه لغُصّة حال الملك (المعنوية) مع بطانته المتآمرة الخائنة كغُصّة الماء (الحسية) الملموسة لشارب الماء والتي لا علاج لها ولا دواء إلا الإمساك عن المأكل والمشرب , فكذلك نجاة الملك من غصة حاله لا تكون إلا بالانقطاع والتخلي عن سلطانه لغيره وهجر مملكته الموروثة عن سالفيه للخلاص من سوء المصير الذي كان ينتظره .

ولهذا الشأن أشعارٌ كثيرةٌ وردت في موروثنا الأدبي عن الغصة في المأكل والمشرب ولعل أولها ما جاء عند الشاعر الجاهلي عَدي بن زيد العبادي في قوله:[33]

لو بغير الماءِ حلقي شَرِقٌ كنتُ كالغصّانِ بالماء اعتصاري

وأقربها لهذا التشبيه قول الشاعر العباسي أبي القاسم نصر بن أحد البصري الخبزأرزي (ت327هـ) :[34] **إلى الماء يسعى مَن يغُصُّ بأكلهِ فقل : أين يسعى مَن يغصُّ بماءِ**

ومقولة الكاتب التشبيهية :"قد فسدت بطانته فهو لذلك كمن غص بالماء" مقتبسةٌ من المثل العربي القائل: "مَن فَسَدَتْ بِطانته كانَ كمَن غُصَّ بالماءِ"[35], جاء به تضميناً وتحليةً لنص مقامته وتوثيقاً لفكرتها وتدعيماً وترسيخاً لصحتها, فضلاً عن إحياء هذه الأمثال التي تكاد أنْ تُترك وتندثر وتُنسى فلا تُستعمَل.

ومن أمثلة الكاتب لاستعماله التشبيه المجمل من (مقامة جائحة الكورونا) ,قوله : **"حتَّى وصلوا إلى التسليمِ بما قدّرَ اللهُ من أنَّ أباهُم كانَ ضِمنَ مَنِ ابتَلَعَتْهُم موجاتُ المياهِ , التي كانتْ كالجبالِ , وكانَتْ الأمطارُ تنهمِرُ كأفواهِ القِلال "**[36].

---

[31] مقامات الظاهر ابي الحسن : 122 .

[32] مقامات الظاهر أبي الحسن : 149 .

[33] ديوان عدي بن زيد العبادي , ت محمد جبار المعيبد , , دار الجمهورية للنشر والطبع , بغداد 1965م : 93 .

[34] شعر الخبزأرزي في المظان ,محمد قاسم مصطفى وسناء طاهر محمد , مجلة معهد المخطوطات العربية في القاهرة مجلد 39-الجزء 2-85 , شعبان 1416 / يناير 1996 , وينظر ترجمته يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ,الثعالبي , تحقيق مفيد محمد قميحة , دار الكتب العلمية ,بيروت, ط1 , 1403ه-1983م :248/2 , و وفيات الأعيان ,ابن خلكان , تحقيق إحسان عباس , دار صادر بيروت ,1398ه-1978م : 376/5 , ومعجم الأدباء, ياقوت الحموي, تحقيق الدكتور إحسان عباس, دار الغرب الإسلامي ,بيروت,ط1, 1993 : 2745/6 .

[35] ورد في جمهرة الأمثال على لسان أكثم بن صيفي : 401 , وينظر مجمع الأمثال , ت 4113 : 317 .

[36] مقامات الظاهر أبي الحسن : 180 .

إذ جاء بالمشبه (موجات المياه) وشبهها بـ (الجبال) بأداة التشبيه (الكاف) وترك وجه الشبه بين طرفي التشبيه يقدّره المتلقي ويتخيله كيف يشاء من خلال إجالة الفكر والذهن بتصور عظمة هذه الأمواج وعلوّها وشدّة قوتها مقارنةً بالجبال _التي هي أوتاد الأرض وعمادها التي تتكئ وتقوم عليها_ لتكوين الفكرة عن عظمة الأمواج بقوتها وشدّتها وتأثيرها فيما تحمله من سفن إذا ما هاجت وتلاطمت وقذفت بأحمالها في العواصف العاتية والأمطار الغزيرة , وهذا ما شكّلته الصورة بعدها بقوله: "وكانت الأمطار تنهمر... " في رسم مشهدٍ رهيبٍ عظيم للخطر المحيط والمحدق بالسفن وراكبيها في تصويرِ أهوالِ اجتماعِ تقاذُفِ الأمواجِ من تحتها, وترامي سواكبِ السماءِ المنهمرةِ من فوقها, في تشبيهٍ مجملٍ آخر بقوله: "كأفواه القلال" والقِلال جمع قُلَّة :"وهي الجرة العظيمة والكوز الصغير وتجمع أيضاً قُلل , وقلّةُ كل شيء رأسه وأعلاه"[37],

فجاء المشبه به في صيغة الجمع (أفواه القلال) ليعطي الكثرة والمبالغة بما ينهمر من مياه الأمطار _والمعروف أنّ القلال والآنية تسكب الماء وتفيضه ولا تقطره أو تردّه رذّاً_ فترك ذكر وجه الشبه ليحقق سعة التصور عند المتلقي وفتح باب الخيال على مصراعيه لتصور كمية المياه الهاطلة من السماء أو سرعتها وغزارتها , ولعل الكاتب اقتبس التشبيهين الآنفين من صور الطوفان العظيم الذي ورد ذكره في عدة آياتٍ مباركاتٍ في القرآن الكريم _فضلاً عن الشرائع السابقة للإسلام_ إذ أتى بالأول من قوله (ﷻ) : ﴿**وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ**﴾ **[هود: 42]** .

فاستعمل ألفاظ "موجات , الجبال" في رسم صورة التشبيه الأول كما هي في الآية الكريمة , وأتى بالثاني من قوله (ﷻ): ﴿**فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ**﴾ **[القمر: 11]** .

فاستعمل الفعل (تنهمر) في رسم التشبيه الثاني من صيغة الفاعل (منهمر) في الآية الكريمة مع لفظة (السماء) لتشكيل صورة المشهد العاصف وتلاطم الأمواج العالية مع انهمار المياه الغزيرة , في قصة نبي الله نوح (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) .

(4) التشبيه المُرسل المفصَّل :

ومنه ما جاء في (المقامة الموصلية) في قوله :**"ولم نَجِدْ لجامعِ المُصَفّي أي أثرٍ وكأنَّه كانَ في قَصَصِ مَنْ غَبَر"**[38] إذ كان الكاتب مسترسلاً في تصوير ما حصل للمدينة من دمار ، حتى بيوت الله لم تسلم من تلك الأيادي التي عبثت بها، واختيار الكاتب لجامع المصفّي لم يأت اعتباطاً فهو أول جامع بني في المدينة وثاني جامع في العراق والخامس على مستوى العالم الإسلامي بناه عتبة بن فرقد العلمي سنة 16هـ ، وسمي بـ(المصفّي) نسبة إلى مجدده الحاج محمد مصفي الذهب سنة ١٢٢٥هـ ، وفي ذلك إشارة إلى تاريخ هذه المدينة وطابعها الديني ، ففي تشبيه الجامع بقصص الغابرين تشبيه مرسل مفصل جمع أركان التشبيه؛ المشبه (الجامع) والأداة (كأنه) والمشبه به (القصص) ، وقد استعمل الكاتب أداة التشبيه (كأن) لما فيه من دلالة التشبيه والتوكيد فهو شبه لنا وأكد ما حصل لهذا الجامع من دمار حتى محيت آثاره، فالجامع أصبح حاله كالقصص التي تُروى وتُحكى للآخرين الذين لم يشهدوا وقائعها ولم يعاصروها ،يقال "غَبْر كل شيء: باقيه"[39] , "وغَبَر الشيءُ يغبر أي بقيَ والغابر الباقي والغابر الماضي"[40] , فيتداولها الناس في أحاديثهم فكم صلى في ذلك الجامع أناس منذ تشيده وكم خرج علماء وكم وكم ... ولم يبقَ من هذا الجامع سوى اسمه وتاريخه أما معالمه فقد دُثِرت .

ومن أمثلة استعماله التشبيه المرسل المفصل قوله في (مقامة بيت المقدس والعهدة العمرية) مستشهداً بأبياتٍ شعرية تحكي جراحات الأقصى :[41]

سَنَمْضي أخي لا نَهابُ المَنايا لأنّــا سَـلَكْنا السَّـبيلَ الرَّشيد
نُجــاهِدُ في الله حقَّ الجِـهــاد ونَمْضي كسيلٍ بزحفٍ شَديد

فشبَّه الشاعر مُضي المجاهدين (المشبه) في سبيل الله لتحرير الأقصى بأداة (الكاف) وجاء السيل (مشبهاً به) , والسيل هو " الماء الكثير السائل , وجمعه سيول ... والعرب تقول : سال بهم السيل وجاش بنا البحر أي وقعوا في أمرٍ شديد ووقعنا نحن في أشد منه "[42] . فجريان السيل معروفٌ أنه شديدٌ جارفٌ في حركته وسيره يقتلع الصخور ويهدم الأسوار والسدود , وليس أشهر من قول امرئ القيس : "كجلمود صخرٍ حطّه السيل من علِ" التي رددها العديد من بعده لما في السيل من شدّة وقوة تهلك الحرث والنسل وتهدم البنيان , وأتى بوجه الشبه (زحف شديد) , والزحفُ هو أحد أسماء الجيش لحركته ومصدر الفعل زَحَفَ : أي مشى أصل الزحف للطفل قبل أن يقوم[43] . فجاء الزحف يجمع بين حركة السيل في سيره وبين حركة الجيش عند اللقاء في الحروب وشدة المسير . ومما أُثِر في شعر الأولين في هذا الجمع بين الحركتين قول عنترة العبسي :[44]

---

(37) العين : 425/3 . لسان العرب : 11/ 565 .
(38) مقامات الظاهر أبي الحسن : 23 .
(39) جمهرة اللغة , ابن دريد , تحقيق رمزي منير بعلبكي , دار العلم للملايين ,بيروت ,ط1 ,1987 :١/٣٢٠.
(40) لسان العرب : 3/5 .
(41) مقامات الظاهر أبي الحسن : 170 .
(42) لسان العرب : 11/ 351 , و ورد المثل :سال بهم السيل ... ,في مجمع الأمثال للميداني : 345 .
(43) ينظر لسان العرب : 9/ 129 .
(44) شرح ديوان عنترة ,الخطيب التبريزي ,وضع هوامشه مجيد طراد ,دار الكتاب العربي ,بيروت , ط1 , 1992م : 45-46 .

نُزاحفُ زحـفـــــاً أو نُلاقي كتيبةً تطاعننا أو يُذعَرَ السرحُ صائحُ

فلمّـــا التقينا بالجفار تضعضعوا ورُدَّت على أعــقابهــنَّ المسالحُ

وسارت رجالٌ نحو أخرى عليهم الـ حديد كما تمشي الجمالُ الدّوالحُ

إذا ما مشوا في السابغات حسِبتَهم سيـــولاً وقد سالت بهنَّ الأباطحُ

واستعمال "السيل" مشبهاً به في أبيات المقامة جاء من مقصدين ؛الأول ما ذُكر من القوة والشدة والسرعة والخوف والرهبة والدمار على العدى حين المعركة, والآخر أن السيل يترك الأرض بعد مروره مرويةً خصبةً معمورةً تزهو بالحياة والنبات والمرعى في مجاريه ووديانه التي مرَّ بها فيعمُّ الخيرُ بعده والنفع .كذلك المجاهد الصادق في سبيل الله يسير ويخرج لسوح الجهاد إحقاقاً للحق ودفعاً للباطل والظلم, وإعماراً للأرض وصوناً للعباد من التظالم, ونشراً للعدل والخير والسلام ,فكلاهما يعقبه الخير والنفع .

(5) التشبيهُ محذوفُ المشبه به :

ولعل آخر ما يطالعنا به الكاتب من أنواع تشبيه المفرد بالمفرد التي استعملها في مقاماته , هو أنْ يأتي بأداة التشبيه (كأنَّ) ويردفها بالطرف الأول (المشبه) , ثمَّ يحجم عن التصريح بالطرف الثاني (المشبه به) ,وإنَّما أتى على ذكر شيءٍ من لوازمه وخواصه الدالة عليه _ وهذا النوع ليس موجوداً في مراتب التشبيه الثماني التي ذكرها البلاغيون في كتبهم_ وهو تشبيهٌ يعطي الأذهان تحفيزاً ودافعاً للتفكّر والتخيل لأجل اختيار (مشبهٍ به) مناسبٍ وتقديره ليكون ملائماً لما ورد من وصفٍ له .

ومن هذا الاستعمال جاء منه مثالان , الأول في استشهاده _شعراً _ لأبي نؤاس :[45]

أخي مـا بال قلبك ليس ينقى كـأنـك مـا تـظـنّ بـــالـمـوت حقاً

فجاء المشبه (ضمير المخاطب) في (كأنك) وأغفل ذكر المشبه به مكتفياً بذكر شيءٍ من لوازمه الدالة عليه (ما تظن بالموت), فيتيح للقارئ السعة وفتح المجال في تصوير وتخييل المشبه به فيحتمل تقدير أن يقال للذي لا يؤمن بالموت ويوقن به : كأنكَ _منكرٌ_ملحدٌ_كفورٌ_ ما تظن بالموت .

أما المثال الثاني فجاء في (مقامة هوان وإباء) في قوله : **"وكأنَّ الأيامَ القليلات على كرّها طَحْطَحَتْهُ, فَصَرَعَتْهُ وأذلَّتْهُ, ..."** [46]. في معرض وصف شابٍ حزين جارَ عليه أهل زمانه وأخذته الدنيا يمنةً ويسرة, فاستعمل التشبيه بأداة (كأنَّ) وأتبعها بالمشبه (الأيام القليلات) ولم يأتِ بعده بالمشبه به , وإنما اكتفى بذكر ما يدل عليه من لوازمَ أو كُنى , إذ جاء بـ (على كرّها) والكرُّ : عطفٌ وتردٌ ورجوعٌ على الشيء, يقال : على العدو كرَّ , ورجلٌ كرّار ومِكَرّ[47] . فصارت تعني معاودة الأيام وتعاقبها عليه بكروبها وأحمالها وأثقالها وصروفها . و(طحطته) الطحطحةُ :هي التفريقُ والإهلاكُ والتبديدُ والكسرُ والغلبةُ[48] .

فصار مفهوماً أنّ الأيام على تكرارها ومعاودتها بالرجوع والتعاقب عليه بكل كروبها وصروفها وأثقالها قد فرّقت أمره وأهلكته وكسرت إرادته _في مواصلة الحياة بعزيمة وإصرار_ لكثرة ما نابه من مصائب الأيام , وقديماً قال الشاعر الجاهلي عدي بن زيد العبادي:[49]

إنّما الدّهـــــــرُ لَـــيّـنٌ ونـطـوحٌ يتركُ العظـمَ واهـياً مكـسـورا

فاسألِ الناسَ عن آل قبـيـسٍ طـحطحَ الدّهرُ قبلَهم سابورا

فجاءت كلمات (الكر و الطحطحة) _في أيام الشاب القليلات_ لتشي بالتكرار والمعاودة المؤدية إلى الكسر والتبديد والإهلاك وكأنها (مقامع أو مطارق) لمعاودتها حركة الضرب وتكرار الطرق لتبديد آماله في الحياة وكسر إرادته فيها مما جعل منه ذليلاً صريعاً جرّاء صروفها عليه , وقد استعمل الكاتب أداة التشبيه (كأنّ) التي أفادت التأكيد على الحالة التي مر بها الشاب _حتى أوصلته إلى ما هو عليه_ إلى
جانب إفادتها للتشبيه .

ثانياً / التشبيه المتعدد:

---

[45] مقامات الظاهر أبي الحسن :71 , ديوان أبي نؤاس برواية الصولي ,ت- د بهجت عبد الغفور الحديثي, هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنية، ط 1 , 2010م : 715 .

[46] المصدر السابق: 139 .

[47] ينظر : لسان العرب :135/5 , و مقاييس اللغة : 5/ 126 .

[48] ينظر : لسان العرب : 2 / 528 , و مقاييس اللغة : 3 / 408 .

[49] الديوان : 64 .

الأكثر في التشبيه أن يأتي مفردَ الطرفين (المشبه والمشبه به) _كما سبق من أمثلة_ وهو الأصل .وقد يتعدد أحد الطرفين أو كلاهما مع اختلافٍ في اقترانهما مع بعض أو تفرقهما , أي : المشبه مع المشبه به , أو مشبه مع مشبه ومشبه به مع مشبه به وهكذا , فنتج عن ذلك أنواع أُخر من التشبيه مبنية على تعدد طرفي التشبيه أو أحدهما .إذ استعمل الظاهر في مقاماته ثلاثة منها :

(1) تشبيه الجمع :

وهو أن يتعدد المشبه به دون تعدد المشبه[50] . ومن ذلك قوله في (المقامة الموصلية):

"وَرَحَلَ الرَّجلُ إلى البلدِ المَنكوبِ , إذا بِهِ يئنُّ أنينَ الرجلِ المفؤود , والعاشِقِ المعمود "[51] .

فهذه المقامة تناولت الأحداث التي مرت بها المدينة في عام ٢٠١٤ ودخول العصابات التي أنهكتها فأصبحت بلدة منكوبة بعد العمليات العسكرية فحل بها الدمار والخراب وقتل من الناس الأبرياء ما قتل ، فجاء الكاتب يصور لنا تلك الأحداث التي مرت بالمدينة على لسان رجل قد عاد إليها وقد تغير فيها كل شيء بسبب الدمار والحرب وإذ يستمع إلى رجل يئن أنين المفؤود فقد شبه أنينه ذلك بأنين الذي أصاب فؤاده الوجع والحرقة ،" قالَ الخليل: تقولُ: أنَّ الرَّجُلُ يَئنُّ أنينًا وأنَّةً وأنًّا"[52] , "وذلك صوته بتوجع"[53]. ومفؤود اسم مفعول وهو الذي أصيب فؤاده بوجع. فالتشبيه ههنا تشبيه بليغ حذف أداته ووجه الشبه (أي يئن كأنين الرجل المفؤود) من شدة الحرقة التي أصابته ، وذكر الرجل في هذا التشبيه له دلالته ، فالرجل يتصف بالجلد والتصبر ولا يظهر ما في داخله ولكن لهول الأمر وعظم المصيبة التي حلت في المدينة جعلته يفقد صبره وحلمه ويبكي بكاءً شديداً له أنين وأزيز، ثم جاء بتشبيه آخر(وكالعاشق المعمود) فصار التشبيه تشبيه الجمع لتعدد المشبه دون المشبه به ." الرَّجُلُ الْمَعْمُودُ، الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْجُلُوسَ مِنْ مَرَضِهِ حَتَّى يُعْمَدَ مِنْ جَوَانِبِهِ بِالْوَسَائِدِ. قَالُوا: وَمِنْهُ اشْتُقَّ الْقَلْبُ الْعَمِيدُ، وَهُوَ الْمَعْمُودُ الْمَشْعُوفُ الَّذِي هَدَّهُ الْعِشْقُ وَكَسَرَهُ، وَصَارَ كَالشَّيْءِ عُمِدَ بِشَيْءٍ "[54] , وقيل المعمود الذي أصيب عمود قلبه وهو وسطه بالحب[55].

وكذلك ما جاء في (المقامة الخمرية) في قوله :**"فدارتِ الخمرةُ في رأسِهِ ,وفقدَ صوابَهُ واختلطتِ الأمورُ في حِسّه ,فغالَتْ لُبَّهُ, وفقدَ عقلَهُ وقلبَه , لينقضَّ على المرأةِ كالوحشِ الكاسرِ والسّكّيرِ الماخر"**[56].

في معرض سرده للقصة التي وردت في الحديث الشريف المروي مرفوعاً "عن عثمان رضي الله عنه قال: اجتنبوا الخمر، فإنها أم الخبائث، إنه كان رجل ممن خلا قبلكم تعبد، فَعَلِقَتْه امرأة غوية ... "[*].

إذ بدأ الكاتب بوصف العابد الزاهد التقي الذي خُيّر مجبراً على إحدى ثلاث كبائر , فأخذ بأهونها _في نظره_ احتساء الخمر التي أخذت عقله وسلبته لُبَّه ورشاده ونزعت سلطانه عن قياد أمره , فتحول _جرّاء تأثيرها_ إلى تعاطي الكبيرة الثانية (الزّنى) , فمهّد الكاتب باستعمال الفعل (لينقضَّ) وهو من أفعال الوحوش الضارية على فرائسها , فأوحى ههنا بأنَّ فاعله ما هو إلّا حيوانٌ متوحشٌ يهاجم فريسته لإشباع جوعته أو سدّ حاجته , ممهداً بذلك للتشبيه بعده (كالوحش الكاسر) من الأداة والمشبه به مع صفته ,فجاء المشبه به في معرض التشويه والتقبيح لمرتكب كبيرة شرب الخمر وآثارها السلبية في الفرد والمجتمع من فقدان التحكم في السلوك والسيطرة على الغرائز والشهوات , وغياب العقل والتفكير السليم , فتُحيلُ متعاطيها إلى مخلوقٍ أشبه بالحيوان منه بالإنسان تُسيّره الغرائز وتسطو عليه الشهوات وتخرجه من صفات الآدمية والأخلاق الإنسانية .

وأتبع المشبه به بصفة (الكاسر) ليزيد من تشويه قبحه وبشاعة فعلته لما في الصفة من ارتباط بمعاني الكسر والتهشيم للعظام والتمزيق لأشلاء الأجساد (في شرائع الغاب) ,إلى جانب كسر روابط العرض والشرف والمروءة وتهتيك أستار الحياء والعفّة (في شرائع البشر) , فجاء التشبيه مجملاً من دون قيد وجه الشبه, ليترك عقل المتلقي يستجلب كل ما في المخيلة من صور الافتراس بعنفها وهمجيتها الدموية المتوحشة عند الدواب , وترسم مشاهد لا محدودة من صور اغتيال المروءة والحياء والحشمة في الإنسان فرداً ومجتمعاً .

ثم عطف على تشبيهٍ آخر فجاء بالمشبه به الثاني (السكير) وهي صيغة مبالغة لمتعاطي المسكرات من الخمور المدمن لها ليُعيدنا _أولاً_ إلى حقيقة الجاني الآدمية من الصورة الأولى (الوحش الكاسر) وليبيّن لنا _ثانياً_ سقوط مروءة هذا العابد الزاهد باقترافه أخبث الكبائر وأُمها كما وُصِفَت في الحديث الشريف, وكأنَّها تلدُ الكبائر الأُخر من رحم الوقوع فيها, ثم أتى على وصف السكير

---

[50] ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : 2 / 188 , وفن التشبيه : 2 / 128 .

[51] مقامات الظاهر أبي الحسن : 22 .

[52] العين : 8/ ٣٩٨ .

[53] مقاييس اللغة :1/ 31 .

[54] المصدر السابق:4/ 138 .

[55] معجز أحمد (شرح لديوان المتنبي)، أبو علاء المعري (المكتبة الشاملة): 15 .

[56] مقامات الظاهر أبي الحسن : 70 .

[*] هو مقتبس من حديث رسول الله ﷺ : "«عن عثمان رضي الله عنه قال: اجتنبوا الخمر، فإنها أم الخبائث، إنه كان رجل ممن خلا قبلكم تعبد، فَعَلِقَتْه امرأة غوية فأرسلت إليه جاريتها فقالت له: إنا ندعوك للشهادة، فانطلق مع جاريتها فطفقت كلما دخل بابًا أغلقته دونه، حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام، وباطية خمر، فقالت: إني والله ما دعوتك للشهادة، ولكن دعوتك لتقع عليَّ، أو تشرب من هذه الخمرة كأسًا، أو تقتل هذا الغلام، قال: فاسقيني من هذا الخمر كأسًا، فسقته كأسًا، قال: زيدوني! فلم يَرِمْ حتى وقع عليها، وقتل النفس. فاجتنبوا الخمر، فإنها والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر، إلا ليوشك أن يخرج أحدهما صاحبه» صحيح سنن النسائي , صحح أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني , مكتب التربية العربي لدول الخليج – الرياض , ١٤٠٩ هـ , رقم الحديث5236 : 3 / 1146 .

بـ(الماخر) وهو صيغة الفاعل من الفعل مَخَرَ:" مَخَرَتِ السفينةُ تَمْخَرُ وتَمْخُر مَخْراً ومُخُوراً: جَرَتْ تَشُقُّ الماءَ مَعَ صَوْتٍ"[57], بدليل قوله (ﷻ) :

﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: 14] . فالسكير قد أحدث بفعلته شقّاً في حياته وفي مجتمعه , ولعل الكاتب قصد (الماخور) : " والماخُورُ: وَهُوَ مَجْلِسُ الرِّيبَةِ ومَجْمَعُ أَهلِ الفِسْقِ والفَسادِ وبُيوتُ الخَمَّارِينَ ...وبَيْتُ الرِّيبَةِ، وَهُوَ أَيضاً الرَّجُلُ الَّذِي يَلي ذَلِكَ البيتَ وَيَقُودُ إِليه "[58], فعدل إلى استعمال (الماخر) من باب المقاربة في اللفظ والجذر اللغوي بين كلتا الصفتين ومن باب مقاربة ومطابقة السجع والجناس غير التام في سياق نص المقامة لكلمة (الكاسر) قبلها , فتشكّل عندنا تشبيه الجمع بمشبهٍ واحدٍ وتعددٍ في المشبه به .

(2) التشبيه المفروق :

وهو ما كانت فيه أطرافه مقرونةً إلى بعضها "فيأتي بالمشبه والمشبه به واحداً بعد الآخر"[59] أي يتعدد طرفا التشبيه ولكن يقرن كل مشبه إلى مشبه به على حدة .

ومن أمثلة استعمال الظاهر أبي الحسن لهذا النوع ما جاء في (مقامة الوصية) المأثورة من رسالة الإمام الحسن البصري إلى الخليفة عمر بن عبدالعزيز يوصيه فيها قائلاً : **"إنَّما الدنيا حُلُمٌ , والآخرةُ يقظة , والموتُ متوسطٌ ..."**[60] . فجاء التشبيه بليغاً مما أصله المبتدأ والخبر مسبوقاً بـ(إنما) للقصر زيادةً للتوكيد والتنبيه والمبالغة _وهو من باب قصر الموصوف على الصفة_ في ثلاث تشبيهات متعاقبات اجتمع فيهن المشبه إلى المشبه به في كل مرة من غير حائل أداة التشبيه , فكانت مضمرةً إيجازاً ومبالغةً في جعل الدنيا حلماً , فشبه الدنيا المحسوسة بالحلم المعقول , فجعلها إياه في معرض الترغيب عنها لما في الحلم من مَزيّة الزوال عند الانقضاء فلا يبقى منه إلّا الأثر في الذاكرة كذلك الدنيا زائلةٌ ولا يبقى منها إلّا الأثر بعد الانقضاء , فإنْ كان الأثر طيباً كانت العاقبة مثله , وإنْ كان الأثر خبيثاً لا تكون العاقبة إلّا مثله .كما إنّ كلمة (الحُلُم) تطلق على ما يُرى في المنام من الأشياء" ويغلب على ما يراه من الشر والقبيح"[61] بدليل قوله (ﷻ):

﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ...﴾ [يوسف: 44] ,و ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ...﴾ [الأنبياء: 5] ,

على عكس الرؤيا التي هي في الخير والشيء الحسن بناءً على الحديث الشريف :

" الرُّؤْيَا مِنَ اللهِ، وَالحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ."[62] . فتشبيه الدنيا بالحلم قائمٌ على الذم والترغيب عنها لأنها أقرب إلى حال الحلم في الإيهام والزوال والانتهاء والفناء وهذه من أوجه الشبه التي أعرض عن ذكرها لفتح نافذة التخيل في ذهن الكيّس الفطن في التشبيه البليغ .

وجعل (الآخرة كاليقظة) مشبّهاً الآخرة _وهي من غيب علم الله (ﷻ) التي أنزلها في كتابه وأوجب الإيمان بها ركناً في عقيدة المسلم , وفي الشرائع السابقة جميعاً_ بحقيقة اليقظة الملموسة التي يعيشها الإنسان في حياته كل يوم , فجاء التشبيه بلا أداةٍ ولا وجه الشبه لتحقيق التواصل والتمازج بين الطرفين وكأنّها شيءٌ واحدٌ , مع تجنب التقييد بوجه الشبه وفتح باب التصور للخيال واسعاً لما يمليه عقل المتلقي وفطنته من صورٍ تجمع بين المشبه والمشبه به .

كما شكّلت صورة التشبيه الثاني (الآخرة يقظة) مع صورة التشبيه الأول (الدنيا حلم) صورة مقابلة للطباق بين الدنيا والآخرة وبين الحلم واليقظة . وختم التشبيه المفروق بالصورة الثالثة "(الموت متوسط), فجاء بالموت _الذي هو حال الإنسان بعد انتهاء الأجل في الدنيا وإقباله على الآخرة وما فيها_ وشبهه بالمتوسط بين حالتي(الحلم واليقظة) الحلم بتمثيله الحياة الدنيا واليقظة بتمثيلها الحياة الآخرة , وهو تشبيهٌ بليغٌ للموت وحياة البرزخ(*) -بالتوسط بين الحلم في أشد النوم وبين اليقظة في أشد الانتباه_ التي ورد ذكرها في كتاب الله (ﷻ) بقوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [المؤمنون: 99-100] . ويعضده ما جاء في الحديث الشريف على لسان عثمان بن عفان (ﷺ) :" إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: " الْقَبْرُ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ , ..." [63] , وحديث : " النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ لَا يَمُوتُونَ "[64] .

فشبه الكاتب إجمالاً ثلاث مراحل رئيسة للإنسان منذ خلقه إلى يوم الحساب : الأولى يدركها ويعقلها فهي حياته , والأخرى يجهلها وهو موعودٌ بها وهي الآخرة , والثالثة يخافها ويرى بوادرها في بني جنسه وهي الموت , شبّهها بثلاث أحوال يعيشها في يومه وليلته : (الحلم) ويمثل النوم وغياب الوعي ,

---

[57] لسان العرب : 5/ 160 , وينظر مقاييس اللغة : 5/ 303 .
[58] المصدر نفسه : 5/ 161 , وينظر مقاييس اللغة : 5/ 303 .
[59] ينظر: الإيضاح : 190 ، وفن التشبيه :133/2، و معجم المصطلحات البلاغية وتطورها :213/2.
[60] مقامات الظاهر أبي الحسن : 33 .
[61] لسان العرب : 145/12 .
[62] صحيح البخاري: الطبعة السلطانية, دار طوق النجاة - بيروت، ط1 , ١٤٢٢هـ ,رقم الحديث 6984 : 9/ 30 .
[*] " الحاجز بين الشيئين , وما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث" لسان العرب : 3 / 8 .
[63] مسند أحمد , تحقيق: شعيب الأرنؤوط -عادل مرشد وآخرون, مؤسسة الرسالة, ط1, ١٤٢١هـ, رقم الحديث 454 : 1/ 503.
[64] الزهد لأحمد بن حنبل, وضع حواشيه محمد عبد السلام شاهين, دار الكتب العلمية, بيروت, ١٤٢٠ هـ ,رقم الحديث 44 : 11.

و(اليقظة) وتمثل شدّة الانتباه بخلاف النوم ونقيضه , و(المتوسط) وهو حالٌ بين الحلم واليقظة , وهو إلى الحلم أقرب . وأول درجات النوم والنعاس لما يقال له الكرى[65] .

(3) التشبيه الملفوف :

وهو" ما أُتيَ فيه بالمشبَّهَين , ثمّ بالمشبه بهما"[66] أي أن يتعددَ طرفا التشبيه فيجيء بالمشبهين معطوفين على بعضهما , ثم يجيء بالمشبه بهما معطوفين على بعضهما .

ومثاله عند الظاهر أبي الحسن من (مقامة الشيخ التونسي الصغير وسجدة الرجل المخمور) في قوله : **"وراغوا علَينا باليمينِ بالأكُفِ والرؤوسِ , وكأنّها المطارقُ والفُؤوس ..."**[67] .

إذ بدأ جملته التشبيهية بالفعل (راغوا) للجمع الذي يفيد الميل والانحراف في استخفاء , وأفاد الميل والاستعلاء للضرب عند اسناده إلى حرف الجر (على)[68]. ومن بعدها (باليمين) للبطش والضرب . وههنا اقتباسٌ من الآية الكريمة: ﴿**فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِٱلْيَمِينِ**﴾ **[الصافات: 93]** ,التي وصفت حادثة تحطيم نبي الله إبراهيم (عليه السلام) لأصنام قومه .ثم عمد الكاتب إلى الإتيان بالمشبهين (الأكف والرؤوس) معطوفين على بعضهما بـ(الواو), ومعلومٌ أنَّ الأكف والرؤوس من الأطراف المستعملة عند بني البشر في القتال والضرب والبطش والتجريح دفاعاً أو هجوماً , مستعملاً أداة التشبيه (كأنَّ) والمشبه بهما (مطارق أو فؤوس) معطوفان على بعضهما أيضاً , والمطارق والفؤوس أدواتٌ من حديد تستعمل للطرق والتحطيم والضرب والتهشيم يستعملها الإنسان في سلمه وحربه .

فجاء التشبيه مجملاً لم يُقَيَّد بوجه الشبه وإنّما يُستشفُ من صلابة معادن المطارق وقدرتها على الطرق والتحطيم ومن حدّة الفؤوس وصلابتها ومقدرتها على القطع والتكسير في معرض المبالغة والتهويل لقوة المشبهين (الأكف والرؤوس) بالثقل والحجم وإلحاق الأذى والضرر فيمن تنهال عليه ضرباً وتعزيراً , والجملة مسجوعةٌ بسجعتين قصيرتين بين المشبه الثاني والمشبه به الثاني (الرؤوس , الفؤوس) في جناسٍ غير تامٍ بنوعه اللاحق ؛لابتعاد مخرج الراء من الفاء , كما نلحظ أنّ بين اللفظتين معنىً خفياً يجمعهما , فالرأس مصدر القوة وفيه اتزان الإنسان والفؤوس كذلك تستعمل للقوة .

ثالثاً / التشبيه المركَّب:

تنوعت استعمالات أستاذنا الظاهر للتشبيه ما بين المفرد والمتعدد _وقد سبقا_ وصولاً إلى التشبيه المركب "الذي يتحد فيه المشبه والمشبه به ويكون مركباً من شيئين أو أكثر"[69] ,وهو ما لا نجده في التشبيه المفرد الذي تكون أطرافه واضحة وصريحة " فإنَّك ترى صورتين على الحقيقة "[70] لا تحتاج إلى إمعان نظر. كذلك التشبيه المتعدد واضحٌ وصريح بتعدد أحد طرفيه أو كليهما واقترانهما مع بعض أو تفرقهما عن بعض تقديماً وتأخيراً من دون الإخلال بالمعنى .

لكن التشبيه المركَّب يتميز عن سابقَيه, إذ "يكون كل من الطرفين (فيه) كيفيه حاصلة من مجموع أشياء قد تضامَّت وتلاحقت حتى صارت شيئاً واحداً"[71] ,وهو ما يعرف بتشبيه المركب بالمركب ,وهو كباقي أنواع التشبيه قد يكون طرفاه حسيين أو عقليين أو وهميين وقد يتفاوتان في ذلك. فضلاً عن مجيء تشبيه المفرد بالمركب أو المركب بالمفرد وهو ما حضينا منه بمثالٍ واحدٍ في (مقامة ابي الحصنان في حضرة السلطان) عند قوله: **"على الرَّغمِ مِنْ أنَّ حياة الذُّلّ صعبةٌ وأنَّ الفقرَ مَعَ المذلّةِ غُرْبةٌ**[72] .

إذ جاءت هذه الحكاية على لسان الهُدهُد أحد أبطال المقامة وهو يصف غابة بواحتها التي يحكمها حاكمٌ عديم الرأفة قليل الثقافة والحكمة مع ضعف في الهمّة , وكيف أنَّ رعاياه من قطعان الحيوانات يهابونه ويخشون بطشته في كل أحواله سقيماً كان أم سليماً جائعاً أم متخماً , يسعون لإرضائه متملقين مرغمين لا مختارين, خاضعين لجبروته وظلمه ذليلين من جَوره وطغيانه لا ينالون من عطائه ونواله إلّا الفُتات وكأنَّهم الأيتام على مأدبة اللئام .

فجيء بجملة التشبيه مما أصله المبتدأ والخبر فكان التشبيه بليغاً بلا أداة تشبيه , مبدوءةً بأداة التوكيد (إنَّ) لإثبات وتوكيد ما بعدها (المشبه المركب) من كلمتي (الفقر, المذلّة) مجموعتين متضامّتين إلى بعضهما بـ(مع) لإفادة الاجتماع والتركيب وضم الشيء الى الشيء والمصاحبة والتمازج بين المعنيين وهما مما اجتمع ذكرهما في كلام العرب لقولهم: "الذلّةُ مع القلّة :اي الذل مع الفقر... ويجوز أن تكون القلة ههنا قلة العدد, وهي مما يذم بها"[73] ,ثمَّ جعل المشبه به (غربة) لصيقاً بهما بلا فارق الأداة لتحقيق المشابهة والمماثلة في جعل طرفي التشبيه شيئاً واحدًا ودمج بينهما: فالأول باجتماع جزئيه المتضامين إلى بعضهما ,والثاني جاء مفرداً في كلمة (غربة) من دون اتباعه بوجه الشبه أو قيدٍ يحدهم فترك فضاء وجه الشبه للقارئ يمليه بما يشاء من وجوه يفطن لها وينبه إليها ,

---

[65] ينظر : لسان العرب :221/15 , و مقاييس اللغة : 5 / 173 .
[66] الإيضاح : 189 . وينظر : فن التشبيه :132/2 , و معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : 2/ 215 .
[67] مقامات الظاهر أبي الحسن :47 .
[68] ينظر : لسان العرب : 8 / 431 . و مقاييس اللغة : 2 / 460 .
[69] معجم المصطلحات البلاغية وتطورها :2/ 201 .
[70] فن التشبيه : 2/ 11 .
[71] معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : 202/2 .
[72] مقامات الظاهر أبي الحسن : 151 .
[73] جمهرة الأمثال : 1 /379 .

وجاء بالمشبه مركباً من أمرين: أولهما الفقر في حالة العوز والحاجة ,والثاني المذلة والشعور بالإهانة والصغار, جاءا مجتمعين ليشكّلا صورة المشبه به وهو الإحساس والشعور بالغربة بما توحيه من عزلة ووحشة وخوف وترقب في تشبيه المركب بالمفرد , فالغريب لا يأمنُ ولا يثقُ بأحدٍ لانقطاع صلته بمن حوله, ولانعدام الحليف والنصير والمعين , ومعاني هذا التشبيه نجدها متداولة ومجتمعة في أشعار العرب كقول الإمام الشافعي (ﷺ) :[74]

إنَّ الغريبَ له مخافةُ سارقٍ وخضوعُ مديونٍ وذِلَّةُ وامِقِ
وإذا تـذكَّـر أهـــلَه وبِـــلادَهُ فـفـؤادُه كـجناحِ طيرٍ خافِقِ

وقول جرير يهجو ربيعة :[75]

يـحـالـفُهُم فَـقـرٌ قَـديمٌ وذِلـّة وبئس الحليفان المذلَّةُ والفقرُ .

التّشبيه التّمثيليّ :

إلى جانب شروط التشبيه المركب _ المذكورة آنفاً_ يجتمع اشتراط تركيب (وجه الشبه) سواء أكان حسياً أم معنوياً[76]. وهو ما يعرف بتشبيه التمثيل أو التشبيه التمثيلي "وهو ما وجهه وصفٌ منتزع من متعدد أمرين أو أمور"[77], وهو بهذا له خصوصية التشبيه أي " إنَّ التشبيه عامٌ والتمثيل أخص منه فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيل "[78] , والفرق بينهما أنَّ التشبيه " يكون من جهة أمرٍ بيّن لا يحتاج إلى تأوُّل "[79] , أما التمثيل فـ" يكون الشبه محصَّلاً بضربٍ من التأوُّل"[80] , فيتحصل لدينا أن وجهَه وصفٌ مركبٌ منتزعٌ من متعددٍ يحتاج إلى ضربٍ من التأوُّل في استخراجه وفهمه .

ومن أمثله هذا التشبيه في مقامات الظاهر قوله في (المقامة المسكية) : **" قال: فارتقى إلى السُّطوح وقلبه خافقٌ كطيرٍ للتوّ مذبوح , وهو لا يفكّر إلّا بالانتحار , هرباً من ارتكاب المنكر ولِباسِ العار ..."**[81] .في معرض وصف هيئة هذا الشاب العفيف الذي تعرض للمراودة عن النفس من طرف امرأةٍ استدرجته لفعلٍ مُشين, فجعل يختلق الأعذار حتى صعد إلى الكنيف* في أعلى الدار.

فشبه الكاتب هيئة الشاب وحال الخوف لديه من الوقوع في الفاحشة وهتك الستر وانتهاك العرض وتدنيس العفة ولباس العار بهيئة الطائر المضطرب المتخبط الذي يرتجف ويتدافع للنجاة بحياته من سكين الذبح وقبضة الجزّار ناثراً ريشه الملطخ بدمه المسفوك , وهو لا يريد من هذا التشبيه إلّا لحظة التهرب من كيد المرأة والتملص من مراودتها وتسليطها سكين الفاحشة على وريد حيائه وعفّته وعرضه بلحظة تهرب الطير وتملصه من يد الجزّار وسكينه وما يرافقها من حركةٍ وتدافعٍ واضطرابٍ وانفعالٍ مع صوت خفقان القلب الملتبس بالخوف والهلع .

فانتزع الشبه من متعدد ثلاثي : أوّلُه وداعةُ الطير برمزيته للسلام والأُلفة والحياة , وآخَرُهُ لحظة الذبح وما يرافقها من اضطرابٍ وتدافعٍ وجلبةٍ ينتج عنها سفك الدم ونزع الريش, وأخيرُه الذبح في صورة إنهاء الحياة عند الطير والحياء عند الشاب العفيف, فجاء وجه الشبه تمثيلاً لهذه اللحظة بكل تفاصيلها وما تفضي إليه المخيلة والصورة عند كلا المخلوقين .

التشبيه الضمني :

ومن التشبيه المركب التمثيلي أيضاً ما يُستشفُّ من المعاني (ضمناً) فلا يأتي على ما عهدنا من وضوح طرفيه وأداته وبقية أركانه , وإنَّما يُستشعر في النص من المعاني وبنيان النص العام , فهو ليس كالأساليب التي مرّت , إذ يُلمح المشبه والمشبه به ويفهمان من المعنى ولا يكونان صريحين وإنَّما لكل منهما جُمَلٌ مستقلةٌ , وجلُّ مجيء المشبه به ما كان من الأُمور اليقينية المُسَلَّمة أو الأمثال السائرة والحِكَم التي تطمئنُّ بها القلوب وتألفها العقول للتدليل والبرهنة والاحتجاج على إثبات الكلام الذي اسند إليه في المشبه , في معرض المساواة والمماثلة بين المشبه والمشبه به بلا زيادةٍ أو نقصان .

ومنها ما جاء في (مقامة مملكة الغابة) بقوله : **"ووقف الملكُ مُطرِقاً ساعةً ثم قال: لقد منحتُ الحمارَ الغابةَ كلَّها وليس نصفَها, قلتُ لِمه ؟؟ قال: يا صديقي إنَّ وطناً يُقَيِّد فيه كلبٌ أجربٌ أسداً وهو ملكُهُم ويحلُّ وثاقَه حمار ,هو الوطنُ الذي لا يساوي درهماً ولا دينار..."**[82] .

فجاء الكاتب بالمشبه به في قوله: (إن وطناً يقيد فيه كلب أجرب... لا يساوي درهماً ولا دينار) دليلاً وبرهاناً على انعدام قيمة التملك على هذه المملكة واضمحلال قِيَمها وانقلاب قوانينها وأعرافها التي كانت تسري فيها وتُسَيِّر بها أمور خلائقها . إذ صار فيها الوضيع رفيعاً وذو المقام ذليلاً مهاناً , كل ذلك تشبيه ضمني _يُفطَنُ إليه من العرض_ لزوال قيمة تلك المملكة وهوان مَلِكها والسلطان فيها بزوال قيمها الأخلاقية وقوانينها وأعرافها المنظمة للحياة فيها, وفقدان القيمة الحقيقية لهيبة الملك والسلطان بعد تسلُّط أضعف أفرادها

---

[74] ديوان الإمام الشافعي ,ت-عادل أنور خضر , دار النهج للدراسات والنشر و ط1 ,1429ه-2008م : 76 .
[75] ديوان جرير, ت-كرم البستاني , دار بيروت للطباعة والنشر , بيروت , 1406ه-1986م : 201 .
[76] فن التشبيه : 12/2 .
[77] الإيضاح : 191 .
[78] أسرار البلاغة : 95 .
[79] المصدر نفسه :90 .
[80] المصدر نفسه : 90 .
[81] مقامات الظاهر أبي الحسن : 78 .
* جاء في لسان العرب " الكنيف : الخَلاء وَكُلُّهُ رَاجِعٌ إِلَى السَّتر" :9/ 310 .
[82] مقامات الظاهر أبي الحسن : 150 .

وعناصرها على صاحب أعلى سلطة حاكمة فيتحكم فيه ويملي عليه إرادته ويضع من قدره ويُهين شخصه , وهذا كله في معرض التشويه والتقليل من قيمة هذه المملكة وهذا السلطان , حتى صار لا يساوي شيئاً يذكر من الدرهم والدينار وهو تشبيهٌ سلبي لحال الوطن والبلاد بسلطانها المنتزع من كل قِيَمه وهيبته .

خاتمة البحث

بعد الانتهاء من الدراسة التحليلية لبلاغة التشبيه في مقامات الظاهر أبي الحسن توصل البحث إلى النتائج الآتية:

- ❖ شكّل التشبيه في مقامات الظاهر أبي الحسن سمةً بارزةً ومتعددةً لثلاثةِ أنواع رئيسة منه, وهي:

1- إذ جاء التشبيه المفرد بأنواعٍ خمسة هي :

التشبيه البليغ (72 شاهداً) والذي يأتي بلا أداة ولا وجه شبه وكان متنوعاً: كالذي أصله المبتدأ والخبر، والذي جاء فيه (المشبه به) مصدراً، وما كان فيه (المشبه به) من صيغتي (أفعل) . والمؤكد (7 شواهد) الذي يأتي بلا أداة تشبيه مع وجود بقية أطرافه ومختلفاً عن البليغ بوجود وجه الشبه. والمرسل المجمل (74 شاهداً) الذي تذكر فيه أطرافه إلّا وجه الشبه يكون مخفياً . والمجمل المفصل (16 شاهداً) الذي يأتي مفصلاً بذكر جميع أطرافه بلا استثناء . إلى جانب (شاهدين) من التشبيه محذوف منه المشبه به ,هو تشبيهٌ نادرٌ استعماله ، إذ كان فيه المشبه به محذوفاً غير مذكور وإنما يقدر في نفس المتلقي .

2- جاء التشبيه المتعدد على ثلاثة أنواع هي:

تشبيه الجمع (25 شاهداً) الذي يتعدد فيه المشبه به دون المشبه ، ثم التشبيه المفروق (7 شواهد) الذي تقرن أطرافه إلى بعضها مشبه به مع مشبه, ثم يتكرر التركيب السابق مرتين وأكثر ، ثم التشبيه الملفوف (شاهدٌ واحد) الذي يأتي فيه بالمشبهين أو ثلاثة ثم بالمشبه بهم بتعدد الطرفين كلٌ على حدة .

3- جاء التشبيه المركب (شاهدٌ واحد) وهو المنتزع من متعدد شيئين أو أكثر, إذ يأتي من صورٍ مركبةٍ متحدةٍ من صورتي المشبه والمشبه به، ثم التشبيه التمثيلي (9 شواهد) الذي يحتاج إلى تأوّل ليتضح أمام المتلقي، إذ يأتي مركب المشبه ومركب المشبه به إلى جانب تركيب صورة وجه الشبه معهما, وأخيراً التشبيه الضمني (4 شواهد) الذي لا يكون واضحاً للعيان وإنما يستشف ويستشعر من خلال بنية النص لاحتواء تركيبه على البراهين الحجاجية والأدلة المنطقية , وهو على غير سياقات التشبيه المعتادة إذ يكون مخفياً في صورةٍ ضمنية يعرفها القارئ الحاذق ويلمحها من السياق العام للنص .

- ❖ كشف التحليل عن مقدرة هذا الفن في تصوير الأحاسيس والمشاعر والأحوال النفسية التي صورها الكاتب في مقاماته لمعرفته الدقيقة في طبائع الناس وتصوراتهم .
- ❖ بان من دراسة التشبيه أن البيئة المحلية المحيطة بالكاتب كانت المصدر الرئيس لصوره التشبيهية فاختار منها ما تناسب الموضوعات التي عرضها.
- ❖ وظَّف الكاتب فن التشبيه -بمختلف ألوانه- بوصفه أحد أهم الأدوات اللغوية لتدعيم حججه وبراهينه في إثبات صحة المبادئ والقاعدة القيمية التي يدعو إليها في مقاماته بأنواعها ؛الاجتماعية والدينية والتاريخية ... وانطلاقاً من وقائع افتراضية رمزية وواقعية في الآن نفسه .

List Resources

1- Asrar Al-Balagha, Abdul Qaher Al-Jurjani, T. Mahmoud Mohamed Shaker , Al-Madani Press in Cairo, Dar Al-Madani in Jeddah (Dr. I) (D. T.).

2- Al-Idhah fi Uloom Al-Balaghah, Al-Khatib Al-Qazwini, Edited by Ibrahim Shams Al-Din ,Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah ,Beirut, 2, 2010.

3- Arabic Rhetoric, Another Reading,, Dr. Mohamed Abdel Muttalib, Egyptian International Publishing Company,2nd Edition (DT).

4- Al-Tabayan fi Al-Bayan, Sharaf Al-Din Al-Taybi, Dr. Yahya Murad ,Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1st Edition , 1435AH-2004AD .

5- Jamhara al-Amthal , Abu Hilal al-Askari ,T- Ahmed Abdel Salam and Muhammad Said Bassiouni Zaghloul , Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah,Bayut, 1st Edition , 1408AH - 1988AD.

6- Jumhara Al-Lughah , Ibn Duraid , Ramzi Munir Baalbaki , Dar Al-Ilm for Millions ,Beirut, 1st Edition, 1987.

7- Diwan Abi Nawas with the novel of Al-Suli, Bahjat Abdul Ghafour Al-Hadithi, Abu Dhabi Authority for Culture and Heritage, National Library, 1st Edition, 2010.

8- Diwan of Imam Al-Shafi 'i ,T-Adel Anwar Khader , Dar Al-Nahhaj for Studies and Publishing, 1,1429 AH- 2008AD.

9- Diwan Jarir, T. Karam Al-Bustani , Beirut House for Printing and Publishing , Beirut , 1406AH - 1986AD .

10- Diwan Uday bin Zaid Al-Abadi , Mohammed Jabbar Al-Mu 'aybid , , Dar Al-Jumhuriya for Publishing and Printing , Baghdad 1965.

11-The asceticism of Ahmed bin Hanbal, edited by Muhammad Abdulsalam Shaheen, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut,1420AH.

12- Sunan Al-Tirmidhi , Investigated by Ahmed Mohamed Shaker , Mustafa Al-Babi Al-Halabi Library and Printing Press Company – Egypt , 2nd Edition ,1395AH -1975AD .

13- Explanation of the Diwan of Antara ,Al-Khatib Al-Tabrizi ,put his margins Majid Tarrad ,Dar Al-Kitab Al-Arabi ,Beirut , 1st Edition , 1992 .

14- Poetry of Arzi Bread in Al-Madhan ,Muhammad Qasim Mustafa and Sana Taher Muhammad , Journal of the Institute of Arab Manuscripts in Cairo Volume 39- Part 2-85 , Sha 'ban 1416 AH/ January 1996AD .

15- Sahih Al-Bukhari: Royal Edition, Dar Tawq Al-Najat - Beirut, 1 , 1422AH .

16- Sahih Sunan Al-Nasa 'i , corrected his hadiths: Muhammad Nasser Al-Din Al-Albani , Bureau of Education for the Arab Gulf States, Riyadh , 1409 AH .

17- Al-Omda fi Mahasen Al-Shaar, Ibn Rashiq Al-Qayrawani , T. Muhammad Muhyiddin Abdul Hamid , Dar Al-Jil Beirut ,5th Edition, 1981 .

18- Al-Ain ,Al-Khalil bin Ahmed Al-Farahidi , Abdul Hamid Hindawi , Scientific Books House, Beirut , 1st Edition , 1424AH - 2003AD .

19-The Art of Simulation,Ali El-Gendy, Nahdet Misr Library and Printing Press, 1952AD ,1st Edition.

20- Al-Kamel in Language and Literature ,Abu Al-Abbas Al-Mubarrad , Mohammed Abu Al-Fadl Ibrahim ,Dar Al-Fikr Al-Arabi, 3rd Edition , 1417AH - 1997AD.

21-The Scapegoat , Rene Gerard, translated by Manar Rashidi Anwar , Dar Al-Sharqiyyah,Beirut , (DT) .

22-The Book of Two Industries Writing and Poetry, Abu Hilal Al-Askari , T. Ali Muhammad Al-Bajawi and Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim ,Dar Ihya Al-Kutub Al-Arabiya , 1 , 1371AH- 1952AD.

23- Lisan Al-Arab , Ibn Manzoor, Dar Sader Beirut, (Dr. I) (D. T.) .

24-The Walking Proverb, Diaa Al-Din bin Al-Athir, , T. Ahmed Al-Houfi and Badawi Tabbana , Dar Al-Nahda Egypt, 1st Edition, 1960AD.

25-Al-Athal Complex, Field , Investigation by Muhammad Muhyieddin Abdul Hamid , Al-Sunnah Al-Muhammadiyah Press, 1374AH- 1955AD .

26- Advantages and Disadvantages , Ibrahim bin Mohammed Al-Bayhaqi , (Comprehensive Library).

27- Musnad Ahmed , Investigation: Shuaib Al-Arnaout - Adel Murshid et al., Al-Resala Foundation, 1st Edition,1421AH .

28-Mujez Ahmed (Explanation of Mutanabbi's Diwan), Abu Alaa Al-Maari (Comprehensive Library) .

29- Dictionary of Writers, Yaqout Al-Hamawi, Investigation by Dr. Ihsan Abbas, Dar Al-Gharb Al-Islami ,Beirut,1st Edition,1993

30- Glossary of Rhetorical Terms and their Development ,Dr. Ahmed Mulab, Arab House for Encyclopedias ,Beirut, 1st Edition , 1427AH - 2006AD.

31- Miftah Al-Ulum ,Abu Yaqoub Al-Sakaki , T- Naim Zarzour, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 2nd Edition , 1407AH-1987AD .

32- Maqamat Al-Zahir Abu Al-Hassan - Study and Texts ,Dr. Abdullah Fathi Al-Zahir ,Dar and Sharka for Printing and Publishing - Mosul, 1st Edition ,2021 AD .

33- Language Standards Ibn Fares , Investigation of Abdulsalam Muhammad Harun , Dar al-Fikr, (DT), 1399AH -1979AD.

34- Deaths of notables ,Ibn Khalkan , Investigation of Ihsan Abbas , Dar Sader Beirut, 1398 AH - 1978AD.

35-Al-Dahr Orphan in the Advantages of the People of the Age ,Al-Tha 'alibi, Mufid Muhammad Qumaiha, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1 , 1403AH -1983AD.